على شبيهِهِ الّا على قدر تدنيهِ وتزلّفهِ من الله لان كلّ انسان يقدر ان يرتكب الشرور ويأتيها فليس اذن في فعلها فخر او شطارة فضلاً عن انهُ لا يقدم عليها الّا من كان نذلاً. ولكن ليس الامر كذلك في المبرّات والصالحات فانها تستقضي في صانعها زيادة عقل وشرف نفس وعظم شهامة ولذا كان صانعها فقط مستحقّاً ثناء الجميع وكاماتهم

ليس من يقطعُ طرقاً بطلاً انّما من يتقي الله البطل

فينجم ممّا تقدّم ان الدين ليس بضادّ للعقل كما يزعم المتظاهرون بالعقل والحكمة بل انما هو موافقٌ لهُ كل الموافقة بل مهذّبًا لهُ كما لسائر قوى النفس ويحسن ان نختم مقالتنا هذه بابيات ابي العتاهية:

حتى متى ذو التيهِ في تيههِ أصلحهُ الله وعافاهُ
يتيهُ اهلُ التيهِ من جهلهم وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العزّ ليبقى لهُ فان عزّ المرء تقواهُ

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٥ افقا

كرّرنا مرارًا اسم افقا في فصولنا السابقة على اننا لم نخصها بعدُ بالذكر. فرأينا ان نفرد لها بابًا خاصًّا لتفيد قراءتنا ما بلغنا عن امرها

قلنا ان وادي نهر ابراهيم كان يُعدّ في القرون الخالية كارض مقدّسة تعبّد فيها الفينيقيّون لتموز (ادونيس) فاقاموا لهُ المزارات والابنية الدينيّة يحجّون اليها ويتبركون بها. وقد امتاز بين هذه المعابد هيكل افقا الشهير جعلوهُ عند رأس نهر ابرهيم في موقع يفوق بحسنهِ جميع مناظر لبنان ويأخذ بالابصار لحسنهِ الفتّان هكذا وصفهُ رينان في كتابهِ الموسوم ببعثة فينيقية وبيّنّاهُ في مقالتنا عن جبال الألب ولبنان (المشرق ١: ٧٢٢)

يشتقُّ العلماء اسمَ أفقا من السريانيّة أفقا اصلها أبعدَ او نفقا مخرج

يريدون بذلك « مخرج المياه » او العين. فمنهُ دُعي المعبد الذي نحن في صددهِ وكان مبنيًا لاكرام « زُهرة أفقا » يتقاطر اليهِ الحجّاج من كل نواحي الشام. وكان اهل تدمر يقصدونهُ في كلّ سنة لمناسكهم. لكنهُ لم يبقَ من هـذا الهيكل القديم غير بقايا ضخمة تنبئ بعظم شأنهِ. وهذه الاخربة منتشرة فوق سطح بُني على ركائز متدرّجة بازاء العين بجهة الجنوب ومن يتأمل هذا البناء يجد بينهُ وبين هيكل فقرا تشابهًا في بعض اقسامهِ. ومن جملة الآثار الباقية الى يومنا عمود من الصوّان وكثير من الحجارة الكبرى المنحوتة

وقد خرب هذا الهيكل مرّتين. هُدِم مرّةً اولى بايعاز قسطنطين الكبير بعد تنصُّرهِ لاسباب ذكرها اوسابيوس القيصري في تاريخ هذا الملك حيث قال (١ :

« لمّا استوى قسطنطين على منصّة الملك رقب من سموّ عرشهِ ما نصبهُ ابليس من الاشراك في فينيقية لصيد النفوس. فوجد من ذلك على هضاب لبنان في موضع قفر لا تطرقهُ السابلة معبدًا تحدق بهِ غيضة. وكان المعبد المذكور أُقيم لبعض الاصنام الدنسة يدعى الزهرة. يتوارد اليهِ البغايا واهل الفجور فاضحى بذلك اشبه بماخور منهُ بمعبد دينيّ. ومع ما كان يجري في ذلك المكان من الآثام الفظيعة والارجاس الشنيعة كان الامر باقيًا محجوبًا عن عيان ارباب السلطة لانهُ لم يتجاسر احد من اهل الفضل ان يدخل المعبد ليتحقّق صحّة ما تناقلتهُ الالسن. بيد انّ قسطنطين وقف على حقيقة الامر فرأى من أخصّ واجباتهِ ان يقوّض اركان ذلك الزون النجس. فتقدّم الى عمّالهِ بان يهدموا ذلك المقام ويكسروا اصنامهُ ويتلفوا ما حُمل اليهِ من الهدايا النفيسة. فأُرسلت الى افقا فئة من الجند وتمّموا اوامر الملك فلم يُبقوا ولم يذروا ». وكان ذلك سنة ٣٢٥ للمسيح امّا سكّان افقا فأُمروا بان يبارحوا سكناهم فتوطّنوا بعلبك

ولكن بعد وفاة قسطنطين عاد سدنة هيكل الزهرة وحاولوا بناء الهيكل ثانيةً. ولعلّهم حقّقوا امانيهم على عهد يليانوس المعروف بالجاحد فبقيت عبادة الزهرة مدّةً من الزمان الى عهد ثاودوسيوس الكبير. وظنُّ انّ هذا الملك شدّد الاوامر فردّ الفينيقيين عن هذه العبادة النجسة كما ابطل عبادة الاوثان في انحاء كثيرة من مملكتهِ. والارجح

(١) راجع الجزء الثالث من ترجمة قسطنطين لاوسابيوس الفصل ٥٥ وتاريخ سوزومان في مجموع الاباء اليونان (مين ٦٧ ص ٩٤٨)

انَّ الاخربة الباقية الى يومنا هي بقايا الهيكل الثاني المنوَّه بذكرهِ وخرابهُ بسبب احدى الزلازل التي دهمت سواحل الشام كما وصفنا ذلك في المشرق (١: ٣٠٣، ٣٤٧ و ٢: ٩٧٠). وما يؤيد ظنَّنا ان بعض الجدران سقطت دفعةً واحدةً مع بقائها على نظامها الاول وقد وجدت الزلازل مساعدًا لفعل الخراب بما كان يجري من المياه تحت الهيكل. فانهار البناء لذلك عند حدوث الزلزال والله اعلم (ستأتي البقيَّة)

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تتمَّة)

(١١٩) ذكر الاميرَين فتح الدين محمد واخيهِ صلاح الدين يوسف ولدي ناصر الدين حمزة بن محمَّد ابن سعد الدين خضر ابن نجم الدين محمَّد

كان فتح الدين اكبر من اخيهِ وامُّهُ هي بنت عمِّ ابيهِ صلاح الدين ابن سعد الدين وهي امرأة ناصر الدين الاولى. وكان فتح الدين المذكور حازمًا برأيهِ مدبِّرًا لنفسهِ ضابطًا لحاجتهِ لا يرى على نفسه الحاجة الى احد ولا يختار تكليف الناس لهُ. تزوَّج حسنات بنت شرف الدين سليمان بن خضر وهي امرأتهُ الاولى وامُّ اولادهِ. وكانت قبلهُ امرأة بدر الدين حسن بن علي. وكان ناصر الدين حمزة قد نزل عن اقطاعهِ لولديهِ فتح الدين وصلاح الدين. وكانت وفاة فتح الدين المذكور رحمهُ الله (١

واما صلاح الدين يوسف اخوهُ فكان ذا عقل وفطنة وذكاء يحفظ فصولًا كثيرة من الحكمة واشتغل بالنحو وكان جيِّد النظر في حقِّ نفسهِ مترقِّبًا لحالهِ مقتصدًا للتمييز بين الناس. وكان لهُ رغبة في مطالعة الكتب وتحصيلها وأُغري بالصيد بالكلاب والبزاة وكان عندهُ ميل الى اهل الخير والحنوّ عليهم. وسكن بيصور في عمارة عمّهِ عماد الدين اسمعيل المقدَّم ذكرهُ وذلك بعد وفاة عمّهِ وكان سكنهُ في بيصور اوَّلًا في ايَّام عمّهِ لمَّا تزوَّج بنتهُ واستمرَّ في عمائرهِ بعدهُ. وامُّهُ خاتون بنت علاء الدين علي ابن زين الدين وهي امُّ بهاء الدين داود بن سليمان وهو اخوهُ من امّهِ ولهذا جعلتُ هذه الترجمة بعد

(١) كذا في الاصل دون تعيين السنة